(٥)
مع القرآن
العظيم

obeikandl.com

ومادمنا فى واحة الإسلام. . حيث يستقر الإيمان فى القلب، وحيث نعرف أمور ديننا بما بصرنا به من عقائد، وتشريعات فإن دليلنا والنور الذى يوضح لنا معالم الطريق، هو القرآن الكريم. . أنه دستور المسلمين. . بما جاء به عن البعث والخلود، بعد الموت، وانتهاء الحياة، وقراءته عبادة، وطمأنته للنفس. . يشعر قارئه بالجلال والجمال. . والخشوع. . فهو فى حضرة الله- جل علاه- تتنزل على قلب قارئه النفحات والهبات الربانية، التى يستشعرها من يقرؤه. . مستوعبا معانيه. . مستحضرا من أنزله، على آخر رسله عليه الصلاة والسلام.

* * *

وإذا لكل نبى من أنبياء الله معجزة حسية يراها الناس ليصدقوا أن صاحب هذه الرسالة مؤيد من الله تعالى. . فإن هذه المعجزات لم يرها إلا الذين عاصروها.

شاهد قوم إبراهيم عليه السلام إبراهيم وهو يلقى به فى النار فلاتحرقه بل تصبح برداً وسلاماً.

وشاهد قوم موسى عليه السلام موسى وهو يلقى عصاه فتتحول إلى ثعبان يلتهم ثعابين السحرة، ويدخل يده إلى جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء.

وشاهد قوم عيسى بن مريم عليه السلام عيسى وهو يحيى الموتى، ويشفى المرضى ويصنع طيرا من الطين فيحلق فى الفضاء بأمر الله.

وعلى كل هذه المعجزات.. فقد اتهم الناس أنبياءهم بالسحر، أو الجنون، وقابلوهم بالاستهزاء: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠].

وكانت معجزة الرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام معجزة قائمة إلى يوم الدين.. متمثلة فى القرآن الكريم.. ولما كان العرب أهل بلاغة وفصاحة، فقد جاء القرآن الكريم بنفس كلمات العرب.. ونفس لغتهم.. ولكن صياغتها ومعانيها هو الإعجاز بعينه.. فلم يستطيعوا أن يأتوا بسورة من سوره أو آية من أياته، ولا استطاعوا أن يكتبوا مثله، أو يأتوا بشىء يماثله.. وهذا دليل على أن هذا القرآن من عند الله -جل علاه- وليس من نظم محمد عليه الصلاة والسلام.

فقد عرف الناس فى مكة محمدا أميا لا يقرأ ولا يكتب، فلا درس التاريخ، ولا قرأ عن الأديان السماوية التى سبقته- فكيف يأتى بما جاء فى الكتاب الكريم من أحوال الأمم السابقة؟ وقصصهم مع أنبيائهم؟ وما كانوا عليه من عبادات، وما كانوا عليه من عادات وتقاليد.

وكيف سادتهم الخرافات والأساطير، وعبادة الأصنام أو النجوم، أو الحجارة الصماء، أو عبادة ملوكهم كالفراعنة!.. كيف عرف الرسول كل ذلك إلا إذا كان ذلك وحيا من الله، وقد عرفوه وقد عاش بينهم أربعين عاما قبل أن ينزل عليه وحى السماء.

صحيح أنهم عرفوا فيه الشجاعة والعفة والطهارة، وجسارة القلب، والذكاء والأمانة، ولكن القرآن لم يكن من نظمه، فالفرق شاسع بين لغة القرآن الكريم ولغة الحديث، رغم فصاحة الرسول عليه الصلاة والسلام،وقد أوتى جوامع الكلمة، أو على حد تعبير القاضى عياض عندما يصف بلاغته عليه الصلاة والسلام فيقول:

فأما فصاحة اللسان وبلاغة القول، فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل، والموضوع الذى لا يجهل، سلامة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتى جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، فكان يخاطب كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها فى منزع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه فى موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله.. ومن تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه، وليس مع قريش والأنصار، وأهل الحجاز، ونجد حديثه مع وطيفة الهندى، وقطن بن حارثة العليمى، والأشعت ابن قيس، ووائل بن حجر الكندى وغيرهم من أقيال حمير، وملوك اليمن.

كان الرسول عليه الصلاة والسلام على علم بلهجات العرب، فقد تعلمها بذكائه الخارق من القادمين إلى مكة للحج من مختلف القبائل.

كان عليه الصلاة والسلام فصيحا.. تلك الفصاحة التى أوجزتها (أم معبد) التى رأته وهو فى طريق هجرته إلى المدينة، ووصفته لزوجها عندما حدثته عن هذا الرجل الذى جاءها مع صاحبه يطلب لبنا، فلما لم يجد إلا شاة هزيلة، حلبها فدرت اللبن، قالت عنه: «إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق، نصل لانزر ولاهذر، وكان منطقه خرزات نظم يتحدرن».

ومع كل هذه البلاغة والفصاحة.. فلغة القرآن شىء آخر.. شىء معجز.. مبهر.. تحدى العرب تحديا أخرسهم.. وقد وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴿٢٣﴾ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

وقوله: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء: ٨٢].

﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٨٨].

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

[يونس: ٣٧، ٣٨].

* * *

وبلاغة القرآن الكريم جعلت رجلا كالوليد بن المغيرة، يقر بأن هذا القرآن فوق مستوى البشر، قال ذلك وهو على شركه.. فقال عن القرآن الكريم:

«إن أعلاه لمورق وإن أسفله لمغدق، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وليس هذا من كلام البشر».

وهذا القرآن نفسه، هو الذى جعل أحد الأعراب الذى يعرف بفطرته جمال اللغة، وإعجاز البيان، هذا الأعرابى عندما سمع - كما قال أبو عبيدة - رجلا يقرأ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

خر ساجدا قائلا:

سجدت لفصاحة هذا الكلام

* * *

والقرآن الكريم نزل على الرسول عليه الصلاة والسلام منجما على مدى رسالته التى امتدت منذ أوحى إليه لأول مرة فى غار حراء، ونزل قوله تعالى:

﴿إِقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥].

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقد نزلت هذه الآية فى التاسع من ذى الحجة، وبعدها لم يعش الرسول عليه الصلاة والسلام سوى إحدى وثمانين ليلة، وانتقل بعدها إلى الرفيق الأعلى، بعد أن نزل القرآن الكريم منجما على رسوله عليه الصلاة والسلام، قرآنا يتلى ويتعبد به، وقربى إلى الله عز وجل، وتشريع إلهى للبشر، فيه ما أحل الله وما حرم الله، وفيه أيضا ما يخص الناس من شرائع وعقائد وعبادات وقد نزل القرآن على مدى هذه السنوات الطويلة، ليحفظه الناس على مهل، ويتبينوا ما فيه من حكم وآيات، وليثبت به قلب الرسول عليه الصلاة والسلام فى الظروف التى مرت بها الدعوة:

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦].

* * *

والقرآن المكى (الذى نزل بمكة).. كان يحدث الناس عن الثواب والعقاب فى العالم الآخر.. وعن هذا اليوم الذى يقوم الناس فيه عند البعث، فيجازى كل بما قدمت يداه من خير أو شر، وعلى مدى قرابة تسعين سورة مكية، كان القرآن يبث فى الناس أهمية الإيمان بما جاء به النبى الخاتم عليه الصلاة والسلام، ويهيئ المسلم بكل الأسلحة التى تعينه على الصبر على مكائد أهل الشرك، وتتوعد الكافرين بما سوف يلقونه من عذاب يوم الحساب، وأيضاً يرد على حجج أهل الضلال، ويرد على مطالبهم غير المنطقية وغير المعقولة.. فقد طلبوا من الرسول.. أن يصعد إلى السماء ويروه رأى العين وهو يفعل ذلك، ويأتى بكتاب من الله، ويكون له بيت من زخرف.. إلى آخر المطالب التى عبر عنها القرآن الكريم بقوله:

﴿ **وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً** ﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣].

ولأن القرآن الكريم من لدن الله -عز وجل- والله خبير بالنفوس.. ويعرف الطبيعة البشرية عندما تعاند وتكابر.. إنها طبيعة الإنسان الواحدة الذى أنكر ما جاء به رسل السماء.. طالما أغلقوا عقولهم عن التفكير، وأصموا أذانهم عن معرفة الحقيقة..

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

* * *

فإذا ما تدبرنا السور المدينة(أربع وعشرون سورة) نرى هذه السور، فيها دستور المسلمين من عبادات وأحكام وتشريعات، وتنظيم شئون الحكم والعلاقة بين الأفراد بعضهم وبعض، ومع المجتمع، والحدود.. فإذا كان القرآن المكى فيه ترهيب وترغيب، وأهمية أن يعرف الناس ثواب الله وعقابه.. حتى يؤمنوا بما جاء به الدين الحنيف، فإن القرآن المدنى فيه تنظيم لحياة الناس والمجتمع..

وسواء أكانت سور نزلت بمكة أو المدينة فإن هذه السور جميعا فيها الإعجاز والإبهار واللغة المستقيمة، والبلاغة التى تستعصى على البشر فقد جمع العرب على لسان واحد.. ولغة واحدة وإذا كانت آيات القرآن الكريم المنزلة على قلب الرسول عليه الصلاة والسلام تنزل حسب الحوادث والأحداث فإن ترتيبها فى السور كان بفعل جبريل عليه السلام، فترتيب الآيات والسور، كان كله بوحى وأمر من الله..

﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦، ١٧].

ومقاصد القرآن الكريم تدور حول نواح ثلاث كما يقول الشيخ محمود شلتوت فى كتابه(إلى القرآن الكريم):

- ناحية العقيدة.

- وناحية الأخلاق.

- وناحية الأحكام.

ويوضح ذلك بقوله:

**فالعقائد:** تطهر القلب من بذور الشرك والوثنية، وتربطه بمبدأ الروحية الصافية، وهى تشمل ما يجب الإيمان به فى جانب الله من صفات الجلال والكمال، وما يجب الإيمان به فى جانب الوحى والرسالات من الملائكة والكتب والنبيين، وما يجب الإيمان به فى جانب اليوم الآخر من البعث والجزاء:

**والأخلاق:** تهذب النفس وتزكيها، وترفع من شأن الفرد والجماعة، وتقوى عرى التآخى والتعاون بين بنى الإنسان وتشمل: الصدق، الصبر، والوفاء بالعهد، والحلم، والجود، والرحمة، وغيرها مما يحقق فى الإنسان ثمرة إيمانه بالله وصفاته التى يجب أن يكون عليها عباده.

**أما الأحكام:** فهى ما بينه الله فى كتابه أو بين أصوله من النظم التى يجب اتباعها فى تنظيم علاقة الإنسان بربه وعلاقته بأخيه الإنسان وتشمل:

أحكام الصلاة والزكاة، والصوم، والحج، واليمين، والنذر، وما إلى ذلك مما يدخل فى دائرة العبادات التى تغذى الإيمان، وتنمى ثمراته الطيبة، وتشمل أحكام الزواج، والطلاق وما يتبعها من مهر

ونفقة، ورضاعة، ونسب، وعدة، ووصية وإرث. . وما إلى ذلك مما يدخل فى دائرة الأحوال الشخصية أو أحكام الأسرة وتشمل: أحكام البيع والإجارة والرهن والمداينة. . وما إلى ذلك مما يدخل فى دائرة المعاملات المالية وتشمل: أحكام الجنايات والجرائم كالقتل، والسرقة، والإفساد فى الأرض، والزنا، والقذف. . وما إلى ذلك مما يدخل فى دائرة العقوبات وتشمل: أحكام الحرب والسلم وما يتبعها من غنائم وأسرى ومعاهدات، وما إلى ذلك مما يدخل فى دائرة الأحكام الدولية العامة. .

* * *

ولقد أوجز الدكتور محمد عبد المنعم القيعى الكلام عن القرآن الكريم، من خلال نظرة شاملة فقال: القرآن المقروء المكتوب فى المصاحف المبتدأ بسورة الفاتحة، المنتهى بسورة الناس: كلام الله عز وجل ووحيه أنزله على قلب نبيه محمد ﷺ من كفر بحرف منه فهو كافر قال تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧].

وكل الصفات التى وصف بها القرآن ترجع لكونه قرآنا أى

جامعا على الحق، وفرقانا: أى مفرقا بين الحق والباطل، وقد وصف القرآن بالكرم، لأنه من أجل النعم، ووصف بالعظمة، نظرا لحقيقته الذاتية. . ووصف بالحكمة. . لأن العبد يترقى بالقرآن فيتجلى له الحق. . وهذا القرآن اسم للفظه ومعناه. .

وكل ما فيه من خير عن نبى من الأنبياء، أو رسول أو عذاب أو نعيم أو غير ذلك فهو حق على ظاهرة لا رمز فى شيء منه. . قال تعالى:

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨].

كما قال لنبيه:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وعليه: فالقرآن أصل الدين، والمصدر الأول له وتأتى بعد ذلك السنة، ثم الإجماع، وما عدا هذه المصادر يستأنس بها: كالقياس والاستصحاب، والمصالح المرسلة، وأقوال الصحابة، وأعمالهم، والعرف وغير ذلك مما يرتضيه المسلمون المتفقون على ما يرضونه، ولا سر فى الدين عن أحد استأثر به عنده، وادعاء هذا زور وبهتان، وتقول بغير علم قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

في الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ [البقرة: ١٥٩].

وادعى فريق من الضالين المضلين أن النبى ﷺ قد اختص بعض أصحابه بأسرار لم يكشفها للجميع كعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه، وقد نفى هذا الإمام الورع تلك الدعوى المنسوبة إليه، والتى افتراها أعداء الإسلام عليه فنشر كرم الله وجهه على الملأ صحيفته وقال ما: عندنا شيء سوى ما كان عند المسلمين من بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالمدينة، وبعض أحكام القصاص، وفكاك الأسير، فلم يكن رضوان الله عليه عنده علم اختصه الرسول به.

أما ما أسر به النبى لحذيفة بن اليمان من أحوال بعض المنافقين فتلك أمور خاصة لا مصلحة للأمة أن تقف عليها..

* * *

القرآن إذن هو غاية المسلمين ومبتغاهم، وقائدهم إلى حياة كريمة تتمثل فيها الأخلاق والتشريعات والعقائد التى بها يرتفع الإنسان إلى مستوى يليق بإنسانيته وكونه خليفة الله فى الأرض..

أنه النور الذى يبيد ظلمات الجهل والجهالة والغباء ويحث الناس على أن ييمموا وجههم شطر العلم..

العلم الدينى ليتفقه فى أمور دينه..

والعلم المادى حتى يعرف الإنسان شيئا عن الكون الذى يعيش فيه والبيئة المحيطة به..

والتمعن والخشوع عند تلاوة القرآن الكريم، تحمل الإنسان إلى استشراف عوالم الروح، تجعل الإنسان يعلو فوق ماديات الحياة، وتفاهات الوجود التى تتكالب عليها، فها هو رسول الله ﷺ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . .يسمع القرآن من ابن مسعود، حتى إذا بلغ قوله تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء : ٤١].

فيبكى الرسول الكريم، ويقول لابن مسعود: امسك. .لقد كان الرسول العظيم بروحانيته السامقة، يرى ما لا يراه الآخرون، فهو القائل لأصحابه:

«والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا. . أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون. . أطت السماء وحق لها أن تئط. . ما فيها موضع أربعة أصابع إلا فيها ملك ساجد لله». .

* * *

والقرآن الكريم وقد نزل على خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام. . وقد نزل منجما. . أى على فترات. . وحسب مناسبات مختلفة من هنا فقد فهم العرب سبب النزول، ولكن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام لم يفسر القرآن، ربما لأن تفسير القرآن يقتضى الانتهاء من نزوله لأن للقرآن عطاءه المستمر فى كل العصور، ومن

هنا فتح باب الاجتهاد لمن يستطيع الاستنباط من العلماء فى كل عصر، بما يتسق مع التقدم العلمى، فالقرآن الكريم لم تتناقض حقائقه مع الحقائق العلمية فى أى عصر من العصور. . وإذا اختلف مع بعض النظريات العملية فإن هذه النظريات سوف تكشف الأيام إنها لم تصل إلى مستوى الحقيقة. .

* * *

وقد سألوا الرسول عليه الصلاة والسلام مرة عن (الهلال). . وكيف يتحول عبر أيام الشهور إلى أن يكتمل فى منتصفه عندما يصبح بدرا، ثم يعود إلى التناقص. . وكان من الصعب على العرب وهم الذين لا يعرفون شيئا عن الفلك فى وقتها أن يحدثهم القرآن الكريم عن الأسباب العلمية وراء ظهور القمر بصور مختلفة عبر أيام الشهر العربى، ومن هنا فقد أجابهم عن الفوائد التى تعود على الناس من ذلك. . فقال جل علاه:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

ومن هنا فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها. . «توفى رسول الله ﷺ ولم يفسر القرآن إلا كلمات تعد علمه إياهن جبريل». .

فحين نزل عليه قوله تعالى:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

سأل النبى جبريل:

- ما العفو ياجبريل؟

فقال: «أن تعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك وتصل من قطعك»..

ولما نزلت عليه آية براءة:

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ [التوبة: ٣].

قال رسول الله ﷺ لأصحابه:

يوم الحج الأكبر هو يوم عرفات..

وقال ﷺ فى شرح لفظـ(الأواه) فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود: ٧٥].

الأواه: الخاشع المتضرع..

والرسول عليه الصلاة والسلام لم يفسر القرآن لأنه لو فسره ما جرؤ أحد فى أى عصر من العصور أن يحيد عما قال به عليه الصلاة والسلام، ولأغلق باب الاجتهاد فى التفسير..

والقرآن يبين أن الإنسان سوف يكتشف الكثير من عجائب كونه المفتوح، ويكتشف حقائق يجهلها عن نفسه التى بين جنبيه.. مع مرور السنين:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

* * *

ومن هنا نرى الكثير من الصحابة قد أحجموا عن تفسير القرآن إلا بما علموه من الأحاديث التى تفسره غير أن هذا لا يعنى أن هناك حجرا على تفسير القرآن، بل لابد أن يكون المفسر لكتاب الله ملما باللغة، وبالظروف التى نزلت فيها الآية، والهدف من نزول هذه الآية، ويكون على علم أيضا بمعطيات اللغة، ويكون لديه الحس الدينى والفهم لأحاديث رسول الله ما يعينه على تفسير ما تيسر من آيات القرآن الكريم، لأن القرآن كما قال الإمام على بن أبى طالب: حمال أوجه. . أى أن عباراته تحمل أكثر من معنى. .

ولقد دعا الرسول عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عباس فقال:

«اللهم علمه الحكمة، اللهم فقهه فى الدين، وعلمه التأويل». .

وأصبح ابن عباس من أفقه علماء المسلمين وممن فتح الله عليهم بتفسير القرآن الكريم، وإذا كان بعض الصحابة قد غاب عنه ذلك فى أول الأمر، إلا أنهم سرعان ما أدركوا أن الله أكرمه وألهمه التفسير. . قال ابن عمر:

«كنت أقول: ما تعجبنى جرأة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت أنه أوتى علما صدقا». .

ومن تفسير ابن عباس عندما سأله بعض الناس عن معنى قوله تعالى:

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وقد فسر ابن عباس هذه الآية بأن السماء والأرض كانتا متصلتين ببعضهما ثم فصل بينهما فرفع السماء ووضع الأرض.

* * *



obeikandi.com